

## الباب الأول

من هم أهل البيت؟

## أهل البيت فى آية التطهير

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١).

فمن هم أهل البيت أولئك المطهرون أصحاب هذه الآية؟

أهم نساء الرسول ﷺ؟

أم هم أقاربه؟

أم هم على وفاطمة والحسن والحسين ﷺ؟ (٢)

يذهب بعض العلماء والمفسرين إلى أن المراد بأهل البيت فى هذه الآية نساء النبى ﷺ، ودليلهم فى ذلك ورود هذه الآية فى سياق الآيات

التي تخاطب زوجات النبى ﷺ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

١- (الأحزاب ٣٣)

٢- راجع البخارى ج ٢- ٦٢، ٥٤، ج ٤- ١٠٢، ج ٥- ٢٥ حيث يذكر عليا بقوله ﷺ - وفى ج ١- ١٢٨، ج ٥- ٢٦ حيث يذكر فاطمة بقوله ﷺ وفى ج ٥- ٢٣ حيث يذكر الحسين بقوله ﷺ وهكذا نجد البخارى وغيره من كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ يذكرون أهل البيت فى مواضع عديدة يقولهم ﷺ مما يبين أن ذلك ليس بدعة ولا مستحدثا ولا منافيا للشرع كيف ذلك وقد أمرنا بالصلاة عليهم قاله تعالى يقول "إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" ولما سأل النصعابة الرسول ﷺ عن كيفية الصلاة عليه أجابهم بقوله "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد وعلى آل إبراهيم كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد - رواه مسلم والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم - فالرسول ﷺ قرن الصلاة عليه بالصلاة على آل وأنت أخى المسلم ماذا تقول فى صلاتك أهلا تقول " اللهم صل على محمد وآل محمد" وقد نهى الرسول ﷺ عن الصلاة البتراء والتي يصلى فيها المرء على الرسول وحده ثم يمسك ولا يصلى على آل فقد روى ابن حجر فى صواعقه المحرقة أن الرسول ﷺ قال "لا تصلوا على الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" الصواعق المحرقة ص ٢٢٥.

وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ  
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ بِنِسَاءِ النَّبِيِّ مَن  
 يَأْتِ مِنْكُمْ يَفْحَشْهُ مُبِينَةً يُضْلَعُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ \* وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا  
 أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ بِنِسَاءِ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِّنَ  
 النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
 مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ  
 الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
 عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ  
 فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

إذا تأملنا في هذه الآيات المباركة نجد فعلا أن آية التطهير ﴿٣٣﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ تقع في سياق الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ وللهولة الأولى يظن قارىء هذه الآيات أنها جميعا - بما فيها آية التطهير - تخاطب نساء النبي ﷺ حيث أنها جزء من هذه الآيات وهذا ما دفع الكثيرين إلى القول بأن أهل البيت في آية التطهير هم نساء النبي ﷺ. ومعظم الذين يقولون بهذا الرأي يعتمدون على ما ذكره ابن كثير في تفسيره حيث يقول بعد أن أورد هذه الآيات: وهذا نص في دخول أزواج النبي في أهل البيت هنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول. داخل فيه قولا واحدا إما وحده على قول أو غيره على الصحيح <sup>(١)</sup> ويقول أيضا: والذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال الله تعالى بعد هذا كله: وأذكرن ما يتلى في

١- الأحزاب ٢٨-٣٤.

٢- (تفسير ابن كثير ج ٢-٣-٤٨٢)

بيوتكن من آيات الله والحكمة.

وهكذا اعتمد ابن كثير في رأيه هذا على أن آية التطهير قد جاءت في سياق الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ بالإضافة إلى ذكره آثاراً عن عكرمة أنه كان ينادى بهذه الآية ويقول أنزلت في نساء النبي خاصة وأورد أنه قال من شاء باهله أنها نزلت في نساء النبي خاصة وساق عكرمة ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهكذا يعتبر ابن كثير أن لهذه الآيات جميعاً بما فيها آية التطهير سبب نزول واحد يخص نساء النبي ﷺ.

نعم عزيزي القارئ إن آية التطهير تقع فعلاً وسط الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ فهل يعنى ذلك أن آية التطهير نزلت مع بقية الآيات ولنفس سبب النزول؟ أم أنها نزلت مستقلة ولسبب نزول مختلف؟ ودعنا نساءل عزيزي القارئ هل ترتيب الآيات في المصحف الشريف هو نفس ترتيب النزول؟

من المعلوم أن ترتيب الآيات والسور في المصحف الشريف يختلف عن ترتيب النزول فالمصحف يفتح بسورة الفاتحة ثم سورة البقرة ويختتم بسورة الناس وليس هذا ترتيب النزول فسورة الفاتحة ليست أول السور نزولاً كما أن سورة الناس ليست آخر ما نزل.

وأيضاً فإن ترتيب الآيات في السورة الواحدة ليس على حسب ترتيب النزول فربما تجد في سورة مكية آيات مدنية وتجد في سورة مدنية آيات مكية بل ربما تجد آيات في سياق واحد يفصل بينها زمن طويل ولكل سبب نزول خاص فنقرأ مثلاً في سورة البقرة - والتي تعد من أوائل ما نزل من القرآن في المدينة المنورة - نقرأ فيها قول الله تعالى:

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. فهل نزلت هذه الآية في نفس وقت نزول الآيات السابقة عنها واللاحقة لها أم نزلت متأخرة عن بقية الآيات بفترة زمنية طويلة

١- (البقرة ٢٨١)

على الرغم من وحدة السياق؟ فهذه الآية يعتبرها البعض آخر ما نزل من القرآن حيث يقول سعيد بن جبير آخر ما نزل من القرآن كله " واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون "عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره<sup>(١)</sup> وذكر ايضا عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال آخر شيء نزل من القرآن واتقوا.....الآية أى أن هذه الآية لم تنزل مع الآيات السابقة لها فى السياق واللاحقة عليها وإنما نزلت بعد تلك الآيات بفترة زمنية طويلة ما بين نزول سورة البقرة فى أوائل الهجرة وحتى أوأخر حياة الرسول ﷺ ومعنى ذلك أن ورود آية فى سياق آيات اخرى لا يعنى بالضرورة نزولها مع نفس الآيات ولنفس سبب النزول.

ايضا فهناك شىء آخر فقد تجد فى القرآن آية واحدة\_ وليس مجموعة آيات \_ هذه الآية تتحدث فى صدرها وذيلها عن موضوع واحد تام المعنى بينما وسطها يتحدث عن موضوع آخر مختلف عن موضوع صدر الآية وذيلها مما يبين نزول تلك الآية مجزأة ولكل جزء سبب نزول خاص. أى أن وسط الآية يعتبر بمثابة جملة اعتراضية وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية والتي نزل بها القرآن ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾

فتأمل عزيزى القارىء فى هذه الآية الواحدة حيث أن صدرها\_ أى قوله تعالى حرمت عليكم..... إلى قوله ذلكم فسق \_ يتحدث عن

١\_ (تفسير ابن كثير ج١\_ ٢٢٢)

٢\_ (المائدة ٢)

المحرمات من الطعام وكذلك ذيلها \_ فمن اضطر... إلى قوله تعالى غفور رحيم يتحدث عن نفس الموضوع بينما وسط الآية "اليوم يتس" إلى قوله الإسلام دينا \_ يتحدث عن موضوع آخر وإذا تأملت عزيزي القارئ في صدر الآية وذيلها وجدته كلاما غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه على شيء من قوله تعالى "اليوم يتس الذين كفروا... وألفيته آية كاملة مماثلة لما تقدم عليها في أنزول من الآيات الواقعة في سورة الأنعام والتحل والبقرة المبينة لمحرمات الطعام ففي سورة البقرة "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم"<sup>(١)</sup>.

يتضح من ذلك أن قوله تعالى "اليوم يتس الذين كفروا" كلام معترض في وسط هذه الآية فهل نزل هذا الجزء من الآية في مناسبة معينة غير المناسبة التي نزلت فيها بقية أجزاء الآية والتي تتحدث عن محرمات الطعام؟

يذكر ابن كثير في تفسيره<sup>(٢)</sup> قول السدي أنزلت هذه الآية يوم عرفة \_ يرى أهل السنة أن هذه الآية نزلت يوم عرفة بينما يقول أهل البيت أنها نزلت في الثامن عشر من ذي الحجة يوم غدیر خم \_ ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام. وقال ابن جرير مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما. وذكر البخاري أن اليهود قالت لعمر رضي الله عنه إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر رضي الله عنه إني لأعلم حين أنزلت أين أنزلت أين كان رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة<sup>(٣)</sup>.

فهذه آية واحدة يتكلم أولها وآخرها عن موضوع واحد بينما وسطها يتكلم عن موضوع آخر وله سبب نزول مختلف عن بقية أجزاء الآية وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية لا ينكره من عرف عادة العرب الفصحاء

١- (البقرة ١٧٣)

٢- (تفسير ابن كثير ج ٢- ١٢)

٣- (البخاري ج ٦- ٦٣ \_ للوقوف على حقيقة زمن نزول هذه الآية انظر هذا الكتاب ص ٦٧ و٦٥).

فى كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم وهذا نفس ما نلاحظه فى آيات سورة الاحزاب من قوله تعالى " يا أيها النبى ..... إلى قوله " لطيفا خبيرا"<sup>(١)</sup> فهذه الآيات لم تنزل دفعة واحدة كما أنها تتناول أكثر من موضوع ولها أسباب نزول متعددة تماما مثلما رأينا فى الآية الثالثة من سورة المائدة فأول الآيات وآخرها يتحدث عن موضوع يتعلق بنساء الرسول ﷺ بينما آية التطهير فى وسط الآيات يتحدث عن موضوع آخر يتعلق بأهل البيت وله سبب نزول مختلف.

ودعنا نتساءل عزيزى القارىء مرة أخرى هل هذه الآيات جميعا بما فيها آية التطهير نزلت معا ولنفس سبب النزول أم أن آية التطهير نزلت مستقلة ولسبب نزول مختلف ؟ وبمعنى آخر هل الآيات الأولى والتي تسمى بآيات التخيير نزلت مع آية التطهير ولنفس السبب أم أن لها سبب نزول خاص ؟ إن آيات التخيير " يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما"<sup>(٢)</sup> فهذه الآيات نزلت حينما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره مما يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره<sup>(٣)</sup>.

إنك تلاحظ عزيزى القارىء أن هذه الآيات نزلت فى جو من التوتر والاختلاف والحزن والأسى حيث أن أزواج النبى ﷺ سأله شيتا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة النفقة وآلى رسول الله ﷺ منهن شهرا واعتزلهن حتى ظن الصحابة أنه قد طلقهن. فى مثل هذا الجو نزلت آية

١- (الاحزاب ٢٨-٣٤)

٢- (الاحزاب ٢٨-٢٩)

٣- (تفسير ابن كثير ج ٢- ٤٨٨)

التخيير فقد روى الواحدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا قالت نعم فأرسل الى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبي لا يقول إلا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى فقام النبي صلى الله عليه وسلم الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغذى ويتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات . وروى البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت نزلت آية التخيير فبدأ بى أول امرأة من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم "إنى ذاكرك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك - وقد علم أن أبوى لم يكونا بأمرانى بفراقه - قالت ثم قال "إن الله تبارك وتعالى قال "يا أيها النبي قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أفى هذا أستأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup> وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يبابه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة أنفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال "هن حولى يسألننى النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فتهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال "إنى أذكرك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى

١ - (فتح البارى ج ٨ - ٦٢٨ ومسلم ج ٢ ٦٧٧)

أبويك " قالت وما هو؟ قال فتلا عليها " يا أيها النبي قل لأزواجك " قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستامر أبوي بل أختار الله ورسوله وأسألك أن لا تذكر لإمرأة من نسائك ما اخترت فقال صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى لم يعثني معنفا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني إمرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها <sup>(١)</sup> وهكذا عزيزي القارئ يتبين لك من هذه الأحاديث سبب نزول آية التخيير حينما طلبت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة النفقة وأدى ذلك إلى اختلاف وتوتر جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يعتزل أزواجه شهرا وكان يحتجب من أصحابه فلا يأذن لهم بالدخول. في وسط هذا الجو المقعم بالأسى والحزن نزلت آية التخيير التي تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم. هذا الجو يختلف تماما عن الجو الذي نزلت فيه آية التطهير ذلك الجو المقعم بالرحمة والمحبة والمودة والسكينة والعطف والحنان وهذا ما سيتضح عندما نعرف سبب نزولها فقد أخرج الترمذي <sup>(٢)</sup> والحاكم وصححه <sup>(٣)</sup> وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سنته من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال " اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ". وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ <sup>(٤)</sup>. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبيتها على منامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدع زوجك وابنيك حسن وحسين فدعتهم فبينما هم يأكلون

١- (مسلم ج ٢\_ ٦٧٧)

٢- (الترمذي ج ٥\_ ٣٠، ج ٥\_ ٢٢٨)

٣- (الحاكم في المستدرک ج ٢\_ ١٣٢)

٤- (مسلم ج ٥\_ ٢٨٧)

إذ نزلت على رسول الله ﷺ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** فأخذ النبي ﷺ بفضله إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء ثم قال " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " قالها ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول الله وأنا معهم فقال " إنك على خير مرتين ". وفي رواية لأحمد<sup>(١)</sup> قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجدبه من يدي وقال إنك عمل خير ". وفي رواية الحاكم قالت أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال " إنك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق "<sup>(٢)</sup> من هذه الأحاديث يتضح لك عزيزي القارئ أن آية التطهير نزلت مستقلة ولم تنزل مع الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ وأن لهذه الآية سبب نزول خاص يختلف عن سبب نزول بقية الآيات وأن هذه الآية إنما نزلت في بيت السيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وأنها نزلت في خمسة في رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** وأن رسول الله لم يدخل معهم السيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** بالرغم من كونها إحدى زوجاته ليفرق عمليا بين أهل بيته وزوجاته فتأمل أيها القارئ الكريم الحرص الشديد للسيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ورغبتها الملحة في أن تتال ذلك الفضل العظيم وأن تكون من أهل البيت المطهرين فحاولت الدخول معهم في الكساء بل ورفعته لتدخل معهم ولكن الرسول ﷺ لم يسمح لها بالدخول بالرغم من خيريتها ومنزلتها العالية لماذا؟ لأن هؤلاء فقط هم أهل بيته ولا أحد غيرهم وبالتالي فلا يجوز لأي أحد أن يدخل معهم غيرهم فيفعل ما لم يفعله الرسول ﷺ والذي لا يفعل إلا ما يوحيه إليه ربه

وأيضا إذا تأملنا هي الآيات السابقة لآية التطهير والتي تخاطب نساء النبي ﷺ نجد أن الخطاب فيها بنون النسوة كنتن، تردن ..... وكذلك أيضا في الآيات اللاحقة واذكرن، بيوتكن أما في آية

١- (مسند أحمد ج ١- ٣٣٠)

٢- (الحاكم في المستدرک ج ٢- ١٣٣، ج ٢ ٤١٦)

التطهير فيختلف الخطاب ويصعب للتذكير ولم يقل الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركن تطهيرا فلماذا اختلف الخطاب من التأنيث إلى التذكير؟ ولماذا لم يستمر التأنيث الموجود في الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ؟ أفلا يدل ذلك على أن المخاطب في تلك الآيات غير المخاطب في آية التطهير؟

وكذلك فإذا أمعنا النظر في الآيات التي تخاطب النساء نجدها قد حددت لهن برنامجا إلهيا وتعاليم محددة للوصول إلى الطهر والكمال يشمل إرادة الله ورسوله، العمل الصالح، التقوى، عدم الخضوع بالقول، قول المعروف، القرار في بيوتهن، عدم التبرج، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله، ذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة. وأسندت الإرادة في هذه الآيات للنساء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي أنها إرادة بشرية يتوقف النجاح في هذا البرنامج الإلهي على مدى إلتزام النساء به بينما نجد الإرادة في آية التطهير إرادة إلهية كونية "إنما يريد الله" وإرادة الله تعالى محققة لا محالة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>

ونلاحظ أيضا في الآيات التي تخاطب النساء أن كلمة بيت جاءت على صيغة الجمع ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بينما في آية التطهير جاء لفظ البيت مفردا "أهل البيت" مما يبين أن لرسول ﷺ بيوتا للزوجية بينما هناك بيت آخر محدد تشير إليه آية التطهير عند نزولها وكان فيه أهل الكساء فقط. فبيوت الزوجية كانت بيوتا متعددة تسكنها زوجات الرسول ﷺ كما قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم"<sup>(٢)</sup>. إن بيت الزوجية سببه العقد الشرعي الذي يمكن تقويض دعائه بكلمة واحدة هي كلمة الطلاق تصبح المرأة بعدها أجنبية عن الزوج كما يبين ذلك الصحابي زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما سئل من هم أهل بيت

١- (يس ٨٢)

٢- (الأحزاب ٥٣)

الرسول نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها<sup>(١)</sup> أما البيت الذي أشارت اليه الآية عند نزولها فهو بيت النبوة والذي كان فيه أهل الكساء الخمسة هذا البيت دائم لا ينفك ولا يزول.

من كل ما سبق يتضح لك عزيزي القارئ أن آية التطهير تختلف عن بقية الآيات في سبب النزول وتوقيته وأجواته وفي أسلوب الخطاب ومضمونه مما يبين أنها نزلت في أناس آخرين غير النساء اللاتي نزلت فيهن الآيات الأخرى

وشيء آخر يجعل الأمر أكثر وضوحاً فهل من المناسب أن يذهب الله تعالى الرجس عن النساء ويظهرهن تطهيراً مطلقاً ثم بعد ذلك يوجه إلى بعضهن العتاب الشديد والتهديد بالطلاق والإستبدال بأزواج خير منهن وذلك لما فمّن به تجاه رسول الله ﷺ كما جاء في سورة التحريم حيث يوجه الله تعالى الخطاب إلى اثنتين من نساء الرسول ﷺ بقوله "إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما"<sup>(٢)</sup> وإن تظاهراً عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً"<sup>(٣)</sup> ومن المعلوم أن سورة التحريم نزلت بعد سورة الأحزاب حيث جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن " وأنزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال ثم الأحزاب ثم المائدة ثم إذا جاء نصر الله والفتح ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين أي سورة الصف ثم الفتح ثم التوبة وخاتمة القرآن"<sup>(٤)</sup> مما يؤكد أن النساء لسن من أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير

٢- (صحيح مسلم ج ٥- ٢٧٤)

١- أي مالت وانحرفت عن الحق

٢- (التحريم ٤- ٥)

٣- (الإتقان في علوم القرآن ج ١- ٨٤)

## التعريف النبوي لأهل البيت عليهم السلام

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ويقول أيضا ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

فالرسول صلى الله عليه وآله قد بين للأمة كل ما تحتاجه في أمور دينها وقد فصل صلى الله عليه وآله ما أجمله القرآن حيث ورد في القرآن ألفاظ لها معنى لغوي معروف ولكن الرسول صلى الله عليه وآله بين من خلال سنته الشريفة المعنى الشرعي لهذه الألفاظ فمثلا الصلاة في اللغة تعنى الدعاء وفى الشرع لها معنى خاص من قيام وقراءة وركوع وسجود وذكر فى أوقات معينة بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك الزكاة فى اللغة تعنى النماء والحج يعنى القصد وقد بين الرسول المعنى الشرعي لهذه الأمور وفصل ما أجمله القرآن فإلله تعالى أمرنا فى القرآن بالصلاة ولكن لم يبين عدد الصلوات أو الركعات ولكن الرسول صلى الله عليه وآله هو الذى فصل ذلك وبين أيضا كل ما تحتاجه الأمة حتى فى أبسط الأمور مثل آداب الطعام وحتى آداب قضاء الحاجة فهل يهمل الرسول صلى الله عليه وآله أمرا هاما للغاية مثل أمر أهل البيت ولا يبينه ويفصله وهو الأمر الذى أولاه إهتماما بالغا وأوصى الأمة أن تتمسك به مع القرآن فى مناسبات عديدة وفى آخر حياته حيث قال " إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " فهل يوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الأمة بشيء مهم مجهول؟ وإذا كان لأهل

البيت معنى لغوي قد يتشدد به البعض فهل لم يبين الرسول صلى الله عليه وآله المعنى الشرعي له كما بين فى سائر الأمور؟ أم أنه صلى الله عليه وآله قد عرّف الأمة بأهل البيت حتى صار أمرهم معلوما وجليا لأصحابه لدرجة أن أحدا

١\_ (النحل ٤٤)

٢\_ (النحل ٦٤)

منهم لم يسأله عنه بالرغم من الحشد الهائل الذي استمع لوصيته ﷺ ولنرى عزيزى القارىء ماذا قال الرسول ﷺ عن أهل البيت ﺍﻟﺒﯿﺖ ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻪ ﻭﻛﯿﻒ ﻋﺮﻓﻬﻢ ﻻﻣﺘﻪ ﻓﻘﺪ ﺭﻭﻯ ﺍﻟﻮﺍﺣﺪﻯ ﺍﻟﻨﯿﺴﺎﺑﻮﺭﻯ ﻋﻦ ﺃﺑﻰ ﺳﻌﯿﺪ ﺍﻟﺨﺪﺭﻯ " ﺇﻧﻤﺎ ﻳﺮﯨﺪ ﺍﻟﻠﻪ... ﺍﻻﻳﻪ " ﻗﺎﻝ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻰ ﺧﻤﺴﻪ ﻓﻰ ﺍﻟﻨﺒﻰ ﷺ ﻭﻋﻠﻰ ﻭﻓﺎطﻤﻪ ﻭﺍﻟﺤﺴﻦ ﻭﺍﻟﺤﺴﯿﻦ <sup>(١)</sup> ﻭﺁﺧﺮﺝ ﺍﻟﺤﺎﻛﻢ ﻓﻰ ﺍﻟﻤﺴﺘﺪﺭﻙ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻗﺎﻝ " ﺁﺧﺪ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﷺ ﺗﻮﺑﻪ ﻓﻮﺯﻋﻪ ﻋﻠﻰ ﻋﻠﻰ ﻭﻓﺎطﻤﻪ ﻭﺣﺴﻦ ﻭﺣﺴﯿﻦ ﻭﻗﺎﻝ ﴿ ﺇﻧﻤﺎ ﻳﺮﯨﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻴﺪﻫﺐ ﻋﻨﻜﻢ ﺍﻟﺮﻳﺲ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺒﯿﺖ ﻭﻳﻄﻬﺮﻛﻢ ﺗﻄﻬﯿﺮﺍ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﻭﺁﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﺟﺮﯨﺮﻭﺍﺑﯿﻦ ﺍﺑﻰ ﺣﺎﺗﻢ ﻭﺍﻟﻄﺒﺮﺍﻧﻰ ﻋﻦ ﺃﺑﻰ ﺳﻌﯿﺪ ﺍﻟﺨﺪﺭﻯ ﺭﻭﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻗﺎﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﷺ " ﻧﺰﻟﺖ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﻓﻰ ﺧﻤﺴﻪ ﻓﻰ ﻭﻓﻰ ﻋﻠﻰ ﻭﻓﺎطﻤﻪ ﻭﺣﺴﻦ ﻭﺣﺴﯿﻦ ﴿ ﺇﻧﻤﺎ ﻳﺮﯨﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻴﺪﻫﺐ ﻋﻨﻜﻢ ﺍﻟﺮﻳﺲ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺒﯿﺖ ﻭﻳﻄﻬﺮﻛﻢ ﺗﻄﻬﯿﺮﺍ ﴾ ﻓﻬﻞ ﺑﻌﺪ ﻗﻮﻝ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﷺ ﻣﻦ ﻗﻮﻝ؟ ﻭﻫﻞ ﺑﻌﺪ ﺑﻴﺎﻥ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﷺ ﻧﺤﺘﺎﺝ ﺇﻟﻰ ﺑﻴﺎﻥ ﻣﻦ ﺁﺧﺮ ﻛﺎﺗﺌﺎ ﻣﻦ ﻛﺎﻥ؟ ﺍﻻ ﻳﺠﺪﺭ ﺑﻨﺎ ﺃﻥ ﻧﺮﺯﻯ ﺑﻘﻮﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﷺ ﻭﺃﻥ ﻧﺴﺘﺴﻠﻢ ﻟﻪ ﻛﻤﺎ ﺃﻣﺮﻧﺎ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﺬﻟﻚ؟ ﻟﻘﺪ ﺣﺼﺮ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﷺ ﺍﻫﻞ ﺑﯿﺘﻪ ﺍﻟﺬﯨﻦ ﺗﻌﻨﯿﻬﻢ ﺍﻳﻪ ﺍﻟﺘﻄﻬﯿﺮ ﻓﻰ ﺧﻤﺴﻪ ﻓﻜﯿﻒ ﻧﺠﻌﻞ ﻟﻬﻢ ﺳﺎﺩﺳﺎ ﻭﺳﺎﺑﻌﺎ ﻭﺋﺎﻣﻨﺎ ﻭ..... ﻭﻧﺪﺧﻞ ﻓﯿﻬﻢ ﺑﺎﻫﻮﺍﺗﻨﺎ ﻣﻦ ﻟﯿﺲ ﻣﻨﻬﻢ؟ ﺍﻟﯿﺴﺖ ﻫﺬﻩ ﺟﺮﺁﺓ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺭﺳﻮﻟﻪ؟ ﺇﻥ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﷺ ﻟﯿﻢ ﻳﻜﺘﻒ ﺑﺤﺼﺮﻫﻢ ﺑﺎﻟﻘﻮﻝ ﻓﻘﻂ ﻭﺇﻧﻤﺎ ﺣﺼﺮﻫﻢ ﺃﻳﻀﺎ ﺑﺎﻟﻔﻌﻞ ﺣﯿﻦ ﺟﻠﻠﻬﻢ ﺗﺤﺖ ﺍﻟﻜﺴﺎﺀ ﻛﻤﺎ ﻣﺮﺳﺎﺑﻘﺎ ﻭﻟﻢ ﻳﺴﻤﺢ ﺑﺪﺧﻮﻝ ﺍﻟﺴﯿﺪﻩ ﺃﻡ ﺳﻠﻤﻪ ﺭﻭﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻤﻬﻢ ﻟﻴﻮﻛﺪ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺤﺼﺮ ﻭﺃﻥ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺒﯿﺖ ﻟﯿﺴﻮﺍ ﺇﻻ ﻫﻮﻻﺀ ﻓﻘﻂ ﻭﻟﻢ ﻳﻜﺘﻒ ﺍﻟﺮﺳﻮﻝ ﷺ ﺑﺬﻟﻚ ﺃﻳﻀﺎ ﺑﻞ ﻗﺎﻡ ﺑﻌﻤﻞ ﺇﻋﻼﻣﻰ ﺭﺍﺗﻊ ﺣﺘﻰ ﻻ ﻳﺨﻔﻰ ﺃﻣﺮ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺒﯿﺖ ﻋﻠﻰ ﺁﺣﺪ ﻭﻟﻴﻘﻄﻊ ﺍﻟﻄﺮﯨﻖ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺬﯨﻦ ﻳﺤﺎﻭﻟﻮﻥ ﺍﻟﺘﺒﺪﯨﻞ ﻭﺍﻟﺘﺤﺮﯨﻒ ﻭﺍﻟﺘﺰﻭﯨﺮ ﻓﻘﺪ ﺁﺧﺮﺝ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﺩﻭﻳﻪ ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﺭﻭﻯ ﺍﻟﻠﻪ ﻗﺎﻝ ﺷﻬﺪﺕ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﷺ ﺗﺴﻌﻪ ﺃﺷﻬﺮ ﻳﺄﺗﻰ ﻛﻞ ﻳﻮﻡ ﺑﺎﺏ ﻋﻠﻰ ﺑﻦ ﺑﻰ ﻇﺎﻟﺐ ﻋﻨﺪ ﻋﻨﺪ ﻭﻗﺖ ﻛﻞ ﺻﻼﺓ ﻓﻴﻘﻮﻝ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻋﻠﯿﻜﻢ ﻭﺭﺣﻤﻪ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺑﺮﻛﺎﺗﻪ ﺍﻫﻞ ﺍﻟﺒﯿﺖ ﴿ ﺇﻧﻤﺎ ﻳﺮﯨﺪ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻴﺪﻫﺐ ﻋﻨﻜﻢ ﺍﻟﺮﻳﺲ ﺍﻫﻞ

١- (ﺳﯿﺎﺏ ﺍﻟﻨﺰﻭﻝ ﻟﻠﻮﺍﺣﺪﻯ ٢٢٩)

٢- (ﺍﻟﻤﺴﺘﺪﺭﻙ ﻟﻠﺤﺎﻛﻢ ﺟ ٢- ١٢٢- ١٢٣ ﻭﻣﺼﻌﺤﻪ ﺍﻟﺬﻫﺒﻰ)

الْبَيْتِ وَيَطْهَرُكَ تَطْهِيرًا ﴿١﴾ وروى الطبراني عن ابن الحمراء قال رأيت رسول الله ﷺ يأتي باب علي وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وروى ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال " الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وروى ابن أبي شيبه وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس ونفضه أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿١﴾

فامل عزيزي القارئ في فعل رسول الله ﷺ إنه لم يفعله مرة أو مرتين أو ثلاث ولم يفعله يوما أو يومين أو ثلاثة ولكنه فعله وكرره شهورا طويلة بل ربما كرهه في اليوم الواحد أكثر من مرة وعند كل صلاة فلماذا الإصرار على ذلك التكرار وتلك المدة الطويلة؟ إن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك بعيدا عن سمع وبصر الصحابة الذين كانوا يشهدونه حين يجتمعون في المسجد في أوقات الصلاة فكل يوم تشهده مجموعة منهم ويمرور هذه الأشهر الطويلة يكون قد شهده جمع غفير والذين غابوا عنه كانوا يعلمونه ممن شهده حيث كان الشاهد يبلغ الغائب حتى صار أمر أهل البيت لا يخفى على أحد من الصحابة ولذلك لم نر أحدا منهم يسأل الرسول ﷺ عنه إن الرسول ﷺ وسلم كان ينادي طوال تلك الفترة عليا وفاطمة وحسنا وحسينا عليه السلام بصفتهم يا أهل البيت ولم يكن يدعو لهم وكان يتلو آية التطهير وهو يناديهم ليعرف الأمة من هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين نزلت فيهم آية التطهير . ترى لماذا لم يفعل الرسول ﷺ ذلك قط ولو لمرة واحدة مع نسائه أو مع واحدة منهن؟

ولماذا لم ينادهن ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت؟ ألا يعتبر عمل الرسول ﷺ مع أهل بيته عملا إعلاميا رائعا وناجحا؟ خاصة وأن المدينة المنورة كانت صغيرة وقليلة السكان.

أليس هذا تعريفا عمليا بأهل البيت حتى لا يخفى أمرهم على أحد ولا يلتبس عليه؟ لقد أراد الرسول ﷺ بذلك العمل الإعلامي الرائع أن يقطع الطريق أمام كل المنحرفين وذوى الأهواء وحتى لا يأتي أحد فى يوم من الأيام ويقول إن أهل البيت هم نساء النبى أو غيرهم . فهل يجروء أحد أن يقول ما يخالف البيان النبوى إلا إذا كان فعلا متبعا لهواه وأعمته ظلمة العصبية وفى قلبه مرض؟ ألا نحتاج إلى شيء من التجرد والحيادية والنزاهة ونحن نتأمل تلك المواقف والأحداث؟ ألا نحتاج أيضا إلى نبذ العصبية والتقليد الأعمى؟ أليس من الأجدر للذين يتكلمون بأهوائهم وآرائهم المخالفة لقول وفعل الرسول ﷺ أن يتخلوا عن هذه الأهواء والآراء ويستسلموا لما جاءهم عن الرسول ﷺ عملا بقول الله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " (١)؟ لو كانت قضية أهل البيت قضية ثانوية ما أولاها الرسول ﷺ كل هذا الإهتمام ولما حرص عليها كل هذا الحرص ولما كررها مثل ذلك التكرار ألا يدل فعل الرسول ﷺ على أهمية تلك القضية وعلى حرصه الشديد على أن تصل واضحة جلية إلى كل المسلمين وحتى لا يلتبس الأمر عليهم من بعده؟ ونحن على يقين أن أهل البيت عليهم السلام كانوا معروفين تماما فى حياة الرسول ﷺ وكان الصحابة يعرفون ذلك بوضوح وبصورة لا لبس فيها مما يفسر عدم سؤالهم الرسول ﷺ عنهم وإنما اختلقت تلك الأقوال المخالفة بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ من قبل الذين حاربوا أهل البيت وحاولوا القضاء على مكانتهم ومحو ذكرهم.

وفى موقف عملى آخر بيّن الرسول ﷺ من هم أهل بيته عند نزول قول الله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل

١\_ (الاحزاب ٢٦)

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم  
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" (١) فمن الذين اصطحبهم  
الرسول ﷺ لكي يباهل بهم وقد نصارى نجران؟ إنه لم يصحب إلا  
حسنا وحسينا وفاطمة وعلياً ولم يصحب أحداً غيرهم إنه صحب  
تلك الوجوه التي قال عنها النصارى حين رأوهم لقد جاءكم بوجوه  
لو استقبل بها الجبال نزلت (٢) فقد روى مسلم في صحيحه عن سعد  
بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال "ولما نزلت هذه الآية " فقل تعالوا ندع  
أبناءنا وأبناءكم الآية " دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنا  
وحسينا فقال " اللهم هؤلاء أهلى" (٣).

١- (ال عمران ٦١)

٢- (راجع كتب التفسير وصحيح مسلم وسنن الترمذى)

٣- (صحيح مسلم ٥\_٢٦٩)

## أهل البيت عند زوجات الرسول ﷺ

زوجات الرسول ﷺ لهن المنزلة العظيمة والمكانة العالية فهن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " (١) ولا شك أيضا أنهن من أعلم الناس بأهل البيت حيث نزلت آية التطهير في بيت واحدة منهن وشهدن ما فعله الرسول ﷺ عند نزول آية التطهير وكذلك روي عنه الأحاديث التي جاءت في هذه الواقعة ومما لا ريب فيه أن لأهل البيت ﷺ المكانة العالية والمنزلة السامية والفضل العظيم الذي يطمع فيه كل إنسان ويتمنى أن يكون من هؤلاء الأطهار المطهرين ولذلك لما نزلت آية التطهير في بيت السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغطى رسول الله ﷺ عليا وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بفضلة إزاره ودعا وقال " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " علمت السيدة أم سلمة فضل ومكانة أهل الكساء فحاولت الدخول تحت الكساء طمعا أن تكون منهم وأرادت أن تتبين موقعها من أهل البيت فسألت الرسول ﷺ وأنا من أهل البيت؟ فأجابها بقوله " إنك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق " فالسيدة أم سلمة روت الأحاديث المتعلقة بتلك الواقعة ولم يؤثر عنها القول بأنها من أهل البيت .

أما السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد ذكرت أن الآية نزلت في خمسة حيث قالت:

خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢)

١ - ( الأحزاب ٦ )

٢ - (صحيح مسلم ج ٥\_ ٢٨٧)

فهل أن النساء كن يعلمن أنهن من أهل البيت المطهرين وكنتم ذلك الفضل العظيم مع أن الله تعالى يأمرهن بقوله " وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة "؟ أم أنهن كن يعلمن علم اليقين من هم أهل البيت ولذلك لم يؤثر عن واحدة منهن القول بأنها منهم؟ وإذا كانت النساء من أهل البيت فلماذا لم ينادهن الرسول ﷺ ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت كما كان يفعل مرارا مع على وفاطمة عليهما السلام؟

وإننا نتساءل لماذا نزلت آية التطهير فى بيت السيدة أم سلمة بالذات؟ ولماذا لم تنزل فى بيت على وفاطمة عليهما السلام؟ هل لتكون السيدة أم سلمة شاهدة عيان - من خارج أهل البيت - على تلك الواقعة فتكون إحدى الوسائل الإعلامية الهامة لنشرها بين المسلمين؟ خاصة وأن السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت شديدة العاطفة والولاء لأهل البيت وشديدة التعلق بهم وهى المعروف عنها الحكمة ورجاحة العقل كما يتبين ذلك من خلال مشورتها لرسول الله ﷺ فى الحديبية فعندما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح مع مشركى مكة قال لأصحابه " قوموا فانحروا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فذكر ما لقي من الناس فقالت يا رسول الله أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحربدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ولم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك فتحربدنه ودعا

حالقه فحلقه فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يعلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضا<sup>(١)</sup> وأيضا نجد الرسول ﷺ يخصها من بين زوجاته ويعطيها تربة من أرض كربلاء - أتى بها جبريل عليه السلام - لتحفظ بها ويقول لها إذا تحول هذا التراب إلى دم فأعلمي أن الحسين قد قتل<sup>(٢)</sup> فهل نزلت الآية فى بيت السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لتحمل مسئولية نشر تفاصيلها بين المسلمين خاصة وأنها عمرت طويلا بعد

١- (الرحيق المختوم - ٣٥٥)

٢- (راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٨- ١٨٨)

وفاة الرسول ﷺ وعاصرت قتل الإمام الحسين عليه السلام ووقعت مغشياً عليها عندما علمت بقتله<sup>(١)</sup> وهل نزلت الآية في بيتها أيضاً لتتم التفرقة عملياً بين أهل البيت وبين الزوجات حين لم يسمح لها الرسول ﷺ بالدخول تحت الكساء بالرغم من خيريتها وأفضليتها؟

---

١- (المصدر السابق - ج ٢ - ٢٠٢)

## أهل البيت عند الصحابة

إن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قد عاصروا نزول آية التطهير وسمعوا من رسول الله ﷺ ورأوه شهورا عديدة عند كل صلاة وهو يقول لعلى وفاطمة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ولذلك فإنهم كانوا يعرفون تماما من هم أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير ولذا لم نرهم يسألون الرسول ﷺ عن أهل بيته ولقد نقل الصحابة إلينا الأحاديث التي تبين من هم أهل البيت ﷺ فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال "نزلت هذه الآية في خمسة في وعلي وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. إن الصحابي زيد ابن أرقم لا ينفي فقط أن النساء لسن من أهل البيت وإنما يعلل ذلك كما جاء في صحيح مسلم عندما سئل من هم أهل بيت الرسول نساؤه؟ قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها<sup>(١)</sup>. بل إن الصحابة كانوا يعبرون عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِأَلِ أَبِي بَكْرٍ وليس بآل الرسول ﷺ رغم أنها كانت إحدى زوجاته كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا والذي يتحدث عن نزول آية التيمم والذي يقول في نهايته أسيد بن الحضير وهو يقصد السيدة عائشة "ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر<sup>(٢)</sup> لقد عبر ذلك الصحابي عن السيدة عائشة بآل أبي بكر ولم يقل يا آل رسول الله ﷺ رغم أنها كانت متزوجة من رسول الله ﷺ مما يبين أن الصحابة كانوا يعلمون تماما من هم أهل البيت وأن النساء لسن منهم ولذلك لم يسألوا الرسول ﷺ عن أهل بيته وهذا

١- (صحيح مسلم ٥-٢٧٤)

٢- (البخاري ج ١-٩١)

بيِّن أن التساؤل عن أهل البيت لم يظهر في حياة الرسول ﷺ وإنما ظهر متأخرا بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ يتبين ذلك من إجابة الصحابي زيد بن أرقم عندما سئل عن أهل البيت فحاول الاعتذار عن الإجابة بكبر سنه فقد روى مسلم عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت عن رسول الله ﷺ قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني ثم قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعدنا وذكر ثم قال "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي" (١) من هذا يتبين أن التساؤلات عن أهل البيت ﷺ جاءت متأخرة وأثارها البعض للتشكيك في أهل البيت الحقيقيين ولصرف الناس عنهم فراحوا ينشرون أقوالا مخالفة لأقوال رسول الله ﷺ واستخدموا في ذلك أشخاصا أمثال عكرمة وغيره ممن كان لهم موقف من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وراحوا يروجون لهذه الأقوال التي لا تعتمد على دليل من كتاب أو سنة وإنما هي مجرد أهواء وعصبية وخدمة لبعض الأهداف السياسية التي كانت موجودة في ذلك الوقت

وهكذا يتضح أن مقولة أن النساء من أهل البيت إنما هي واحدة من الأشياء الكثيرة التي أستحدثت بعد وفاة الرسول ﷺ وفي نهاية زمن الصحابة

١- (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ - ١٨٤)

## عكرمة وأهل البيت عليهم السلام

تبيّن لك عزيزي القارئ ماذا قال الرسول صلى الله عليه وآله عن أهل البيت وماذا قالت نساؤه وكذلك الصحابة ولكننا نجد عكرمة يخترع قولاً آخرًا مخالفًا لكل هذه الأقوال وهو الذي لم يعاصر الرسول صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه حيث كان ينادى بأية التطهير ويقول أنزلت في شأن نساء النبي خاصة فعلى أي شيء اعتمد عكرمة في قوله هذا؟ أعلى على كتاب الله وسنة رسوله؟ أم على أقوال نساء النبي وصحابته؟ أم كان اجتهادًا خاصًا منه وجرأة على النصوص الكثيرة والصريحة؟ وهل نترك عزيزي القارئ قول الرسول صلى الله عليه وآله لقول عكرمة أو غيره؟ سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما عن مسألة فأجابها فيها بحديث فقال الرجل قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وتقولون قال أبو بكر وقال عمر" فإذا كان ابن عباس يتخوف أن تنزل الحجارة على من يترك قول الرسول صلى الله عليه وآله لقول أبي بكر وعمر مع ما لهما من مكانة ومنزلة فماذا يقول عمن يترك قول الرسول صلى الله عليه وآله لقول عكرمة؟!

إن عكرمة لم يكتف بذلك القول فقط وإنما كان يتجاسر ويقول من شاء باهلته أنها نزلت في شأن نساء النبي خاصة إنه أراد أن يصور نفسه في دور البطل حيث لا أحد سواه ولا أحد يجزئ على التصدي له وكان الجميع استسلم لقوله وتركوا ما عداه مع أن معظم المسلمين كانوا يقولون بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله فهل لم يجد عكرمة أحدًا في الأمة يقول ما كان يقوله الرسول صلى الله عليه وآله حتى يباهله؟ أم أنه كان يردد قوله ذلك في جنبات نفسه وبعيدا عن سماع المسلمين؟ ولماذا أظهر عكرمة قوله ذلك في تلك الفترة بالذات؟ أم أنه كان يخدم أهدافًا أخرى وكان ضمن الجهاز الإعلامي الذي أسندت إليه عملية التحريف والتزوير والتضليل والقضاء على مكانة ومنزلة أهل البيت وصرف

الناس عنهم؟

إن عكرمة مثال لأولئك الذين حاربوا أهل البيت عليهم السلام. ألم يكن من الخوارج؟ فماذا نتوقع منه أن يقول عن أهل البيت وهو يحاربهم؟ ثم من هو عكرمة وماذا قالوا عنه؟ قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال عكرمة مولى ابن عباس أحد أوعية العلم تكلم فيه لرأيه لا لحفظه فأتهم برأى الخوارج وقد وثقه البخاري أما مسلم فتجنبه وروى له قليلا مقرونا بغيره وأعرض عنه مالك وتحايده إلا في حديث أو حديثين وقال حدثنا وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيوب فذكرنا عكرمة فقال يحيى: كذاب. وعن يزيد بن أبي زياد عن عبيد الله ابن الحارث قال دخلت على علي بن عبيد الله فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحسن فقلت له ألا تتقى الله فقال إن هذا الخبيث يكذب على أبي. ويروى عن ابن المسيب أنه قال ما يسوءني أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب. وقال حدثنا هشام بن عبد الله المخزومي سمعت ابن أبي ذئب يقول رأيت عكرمة وكان غير ثقة. ونقل عن محمد بن سعد كان عكرمة كثير العلم والحديث بحرا من البحور وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه. وقال مطرف بن عبد الله سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة ولا أرى أنه يروى عنه. وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه إلا كافر قال كان يرى رأى الأباضية. وقال مصعب الزبيري كان عكرمة يرى رأى الخوارج قال وادعى على ابن عباس أنه كان يرى رأى الخوارج وعن عطاء بن أبي رباح أن عكرمة كان أباضيا وروى سليمان بن معبد السنجي قال مات عكرمة وكثير عزة في يوم فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة <sup>(١)</sup> وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه برد لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس

هذا هو عكرمة فهل نترك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقوله؟!!!!

١- (راجع ميزان الاعتدال ج ٥ ١١٦ الى ١١٩)

## ماذا تعنى آية التطهير؟

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ إذا تأملنا فى هذه الآية وجدنا فيها الإرادة الإلهية المستمرة لإذهاب الرجس والتطهير الإلهى المطلق الإرادة الإلهية المستمرة وانتهى يفيدها الفعل المضارع " يريد " والإذهاب المستمر للرجس كما يفيد الفعل المضارع المؤكد "ليذهب" وكذلك نجد التطهير الإلهى المطلق لأهل البيت كما يفيد المفعول المطلق " تطهيرا " فبالله عليك عزيزى القارىء هل يبقى ذنب أو إثم أو دنس مع تلك الإرادة الإلهية المستمرة لإذهاب الرجس وذلك التطهير الإلهى المطلق؟ إن الله تعالى \_ وليس العبد \_ هو الذى يذهب الرجس باستمرار وهو الذى يطهر التطهير المطلق فهل يبقى مع ذلك ذنب أو إثم أو دنس أو معصية؟ إذا بقى شىء من ذلك فإننا نتهم التطهير الإلهى بأنه غير كامل وحاشاه أن يكون كذلك. قد يحاول الإنسان تطهير نفسه بنفسه ولكن هذا التطهير البشرى يختلف عن التطهير الإلهى للإنسان الذى يجعله طاهرا مطهرا أما تطهير الإنسان لنفسه فإنه يجعله متطهرا التطهير البشرى قد لا ينجح فيه الإنسان وأيضا فإنه لا يصل به الى الكمال حيث يبقى معه بعض الرجس والدنس على عكس التطهير الإلهى الذى لا رجس معه ولا دنس . إن هناك أعمالا فى الإسلام تطهر صاحبها كالصدقة والصلاة يقول الله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها " <sup>(١)</sup> ويقول الرسول ﷺ " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شىء قال ﷺ " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " <sup>(٢)</sup> فإذا كان هذا تطهير الصلاة التى يؤدونها المسلمون جميعا فكيف بالتطهير الإلهى الذى يختص الله به

١- (التوبة ١٠٣)

٢- (صحيح مسلم بشرح النووى ج٥-١٧٣)

بعض عباده كأهل البيت عليهم السلام؟ هل يبقى لأولئك الذين طهرهم الله رجس أو ذنب أو معصية؟ وماذا يعنى هذا؟ ألا يعنى العصمة؟ إن الله تعالى قد عصم أصحاب هذه الآية حيث أن الذنب والإثم والمعصية دنس ورجس وقذارة لا يليق ولا يتفق مع الطهر الإلهى فأى ضرر فى القول بعصمة أهل البيت عليهم السلام؟ وهل إذا قلنا بعصمة إنسان فإننا نجعله بذلك إلهاً أو نبياً؟ إنه بشر وليس بإله أو نبي ولكنه لا يترك واجبا ولا يفعل محرماً وأى عجب فى ذلك؟ إذا كان أصحاب هذه الآية غير معصومين كما يرى البعض فإنهم يمكن بالتالى أن يتركوا الواجبات ويأتوا المحرمات فبالله عليك عزيزى القارىء هل يتناسب ذلك مع الإذهاب الإلهى المستمر للرجس والتطهير الإلهى المطلق؟ إذا كانوا غير معصومين فما هى الميزة التى أعطتها الآية لأهل البيت على غيرهم من البشر حيث سيشاركونهم فى الإثم والمعصية ويصبح الجميع سواء فى هذا الأمر. إذا كان أصحاب تلك الآية غير معصومين فلماذا إذن النزاع على من هم أهل البيت فسواء كانوا من أهل البيت أو لم يكونوا فالجميع يرتكب الذنوب والمعاصى كما يرى الذين يقولون بعدم العصمة؟ فلا يبقى إلا أن نقول إن آية التطهير لا تعنى إلا العصمة ويؤيدها المعنى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد من عدة طرق<sup>(١)</sup> وصححه الألبانى<sup>(٢)</sup> "إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" قاله تعالى يقول عن القرآن "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"<sup>(٣)</sup> فالقرآن معصوم ومنزه عن الخطأ وكذلك العترة لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعلها فى الحديث السابق عدل القرآن ولا تفارقه فالعترة معصومة تماما كالقرآن وهى بالتالى لا ترتكب الذنوب والمعاصى لأنها لو

١- (مسند أحمد ٥\_١٨٢)

٢- (صحيح الجامع الصغير ٢/٢١٧ رقم ٢٤٥٤ وراجع أيضا سلسلة الأحاديث الصحيحة

(٢٥٨\_٢٥٥/٤)

٣- (فضلت ٤٢)

فعلت لفارقت القرآن وهذا خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ. إن هذا الحديث يبيّن أن أهل البيت ﷺ لا يخالفون القرآن وفي نفس الوقت لا يختلفون فيما بينهم وهذه الصفة لا تتوفر إلا في أهل الكساء ولا توجد في غيرهم. فهذه الصفة لم تتوفر في نساء النبي ﷺ حيث اختلفن فيما بينهن وانقسمن إلى حزبين كما روى ذلك البخاري عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن نساء الرسول ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء الرسول ﷺ (١) فأى الحزبين كان من أهل البيت؟ إن أهل البيت لا يختلفون فيما بينهم ولكن قد يختلفون مع غيرهم حيث نجد أن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اختلفت مع الامام علي بن أبي طالب وخرجت لقتاله فهل كان الاثنان من أهل البيت ومع القرآن رغم ذلك الاختلاف والاقتيال؟ أم أن أحدهما كان من أهل البيت ومع القرآن دون الآخر لأن أهل البيت لا يخالفون القرآن ولا يختلفون فيما بينهم؟ والرسول ﷺ يقول "على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض" (٢). فيتبين من معنى آية التطهير أن نساء النبي ﷺ لسن من أهل البيت ﷺ.

ويبقى سؤال هام لماذا خص الله تعالى أهل البيت ﷺ بهذا التطهير دون بقية الأمة؟ إن الله تعالى جعل لأهل البيت مرتبة ومنزلة تسمو على بقية الأمة وخصهم بالتطهير ليكونوا القادة الريانيين والأئمة الهداة المهديين تطيعهم الأمة وتتبعهم وتقتدى بهم وتسلك طريقهم وتسير على خطاهم وهي على ثقة أنها تسير في صراط الله المستقيم دون زيغ أو انحراف.

١- (البخاري ج ٣-٤٠٤)

٢- (أخرجه الطبراني في الأوسط)

## تساؤلات حول آية التطهير

بالرغم من الأحاديث الصحيحة والصريحة التي بينت من هم أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير وبالرغم من أقوال نساء الرسول ﷺ وأقوال الصحابة فإننا نجد البعض يثير الشبهات والتساؤلات حول هذه الآية ولا يريد أن يستسلم للدليل الصحيح والبرهان الساطع وتحمله العصبية على محاولة صرف المسلمين عن أهل البيت الحقيقيين ولا ندري سبب ذلك والدافع إليه. هل هو امتداد للسياسة التي ظهرت في زمن الفتنة التي عاشها المسلمون في صدر الإسلام تلك السياسة التي كانت تهدف إلى القضاء على مكانة ومنزلة أهل البيت الحقيقيين ومحاولة صرف المسلمين عنهم؟ فنرى أحد الكتاب يقول:

آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ كما قال تبارك وتعالى " يا نساء النبي..... إلى قوله لطيفا خبيرا " إن الذي يراعى سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ والحديث يبدأ فيها بنساء الله سبحانه وتعالى لهم (هكذا أوردها الكاتب).

إنه يقول بكل جرأة إن آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ ويستخدم أداة الحصر إنما ضاربا عرض الحائط بالأحاديث الصحيحة التي وردت عن الرسول ﷺ وكذلك لم يلتفت إلى ما قالته نساء النبي أنفسهن وكذلك الصحابة وكان دليله فقط التأمل في سياق الآيات هذا السياق الذي أوضحنا أمره فيما سبق والذي ظهر لك جليا عزيزي القارئ الاختلاف البين بين آية التطهير والآيات الأخرى.

ويقول أيضا " مما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء رضوان الله تعالى عليهم بل في نساء النبي خاصة حديث الكساء نفسه ذلك أن الرسول ﷺ في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس بقوله " اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب

عنهم الرجس" فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب  
الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ؟  
ويستطرد قائلا:

إنما أراد رسول الله ﷺ من دعائه هنا أن يضم الله عز وجل أصحاب  
الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نسائه اللاتي نزلت فيهن الآية  
في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس.

إن الكاتب يتساءل متعجبا من دعاء الرسول ﷺ لأهل الكساء  
ويجعل ذلك دليلا على أنهم ليسوا من أهل البيت. إن الآية نزلت لتبين  
إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيرا مطلقا وهنا يبرز  
تساؤل من هم أهل البيت هؤلاء؟ فجمع الرسول ﷺ أهل بيته وحصرهم  
تحت الكساء ودعا لهم لبيِّن أهل البيت الذين تعنيهم الآية وليجيب  
عن التساؤل الذي يمكن أن تطرحه الآية. ولو تأمل الكاتب قليلا في  
دعاء الرسول ﷺ لا تضح له أن أهل الكساء هم أهل البيت دون غيرهم  
فالرسول ﷺ يقول في دعائه "اللهم هؤلاء أهل بيتي" فجعلهم كل أهل  
البيت ولم يقل اللهم هؤلاء من أهل بيتي فيجعلهم جزءا منهم فالرسول  
ﷺ يشير إلى أن أصحاب الكساء هم كل أهل البيت وليسوا جزءا  
فقط. ثم لماذا تجاهل الكاتب الرواية التي ليس فيها دعاء والتي رواها  
مسلم عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه  
مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين  
فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ  
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup> فالرسول ﷺ في  
هذا الحديث لم يدع ولكنه قرأ الآية لبيِّن أن هؤلاء هم أهل البيت  
الذين تعنيهم الآية. أيضا لماذا تغافل الكاتب عن الروايات الكثيرة  
التي ذكرت أن الرسول ﷺ كان يمر بباب فاطمة وعلى وقت كل  
صلاة ويناديهم الصلاة الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إن الرسول ﷺ كان يفعل

١- (صحيح مسلم ج ٥- ٢٨٧)

ذلك مرارا ولشهور طويلة وهو يناديهم بصفتهم يا أهل البيت ويتلو الآية ليؤكد أنهم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولم تذكر هذه الأحاديث أن الرسول ﷺ كان يدعو لهم وإنما كان فقط يناديهم بصفتهم "يا أهل البيت". لقد نزلت آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي هذه الآية كلمة "أهل البيت" فأراد الرسول ﷺ أن يعرف الأمة من هم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولو لم يفعل لكثير التساؤل عن أهل البيت هؤلاء أهم نساؤه؟ أم أقاربه؟ أم ابنته وزوجها وبناتها؟ فأراد الرسول ﷺ أن يعرفهم للأمة فجعلهم تحت الكساء ودعا لهم فحصر أهل بيته فيهم وبذلك فقد أغلق الطريق أمام أصحاب الأهواء الذين يريدون إدخال من يشاءون في أهل البيت وإخراج من يشاءون. ثم إن الرسول ﷺ أراد أن يؤكد وقوع إذهاب الرجس والتطهير المطلق لأهل بيته حيث أن دعاءه مستجاب قطعا مما يدل على أن الله تعالى قد أذهب الرجس فعلا عن أهل البيت وطهرهم تطهيرا حتى لا يأتي أحد ويقول إن الله تعالى أراد إذهاب الرجس والتطهير ولكن ذلك لم يتحقق كما يقول ذلك الكاتب "ويطهركم تطهيرا" ليس فيه إخبار بإذهاب الرجس لماذا دعا الرسول ﷺ أهل الكساء إذا كانت الآية بينت فعلا أن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟ فنقول أما قوله ليس فيه إخبار بإذهاب الرجس فإنه يناقض نفسه حيث يقول: فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعي لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ فإنه يقرر أن الله تعالى أخبر فيها بإذهاب الرجس وأما الذي ينكره فهو دعاء الرسول ﷺ بعد إخبار الله تعالى بإذهاب الرجس. أليس هذا تناقضا ولماذا كل ذلك؟ الأجل طمس حقيقة أهل البيت ﷺ وصرف الناس عنهم بدافع العصبية البغيضة؟ أما تساؤله عن دعاء الرسول ﷺ لأهل الكساء إذا كانت الآية بينت فعلا أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنقول أن الآية نزلت وفيها لفظ "أهل البيت" فأراد الرسول ﷺ أن يبين من هؤلاء المقصودون بأهل البيت وأراد أيضا أن يؤكد وقوع

إذهاب الرجس والتطهير المطلق بالإضافة إلى أن الدعاء والإلحاح فيه نوع من العبودية والتذلل لله تعالى كما قال الرسول ﷺ "الدعاء مخ العبادة" وقال "الدعاء هو العبادة" فالرسول ﷺ يمارس الدعاء في مثل تلك المواطن التي اعطاه الله فيها سؤله مسبقا ومع ذلك يدعو كنوع من العبودية والتذلل لله تعالى والانقطاع إليه مع ما فيه أيضا من إظهار الشكر وطلب استمرار الفيض الإلهي . فإله تعالى يقول "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (١) ومع ذلك فهل ترك الرسول ﷺ الاستغفار بعد نزول هذه الآية ؟ الله تعالى قد هدى رسوله ﷺ ومع ذلك كان يقرأ " إهدنا الصراط المستقيم " وفي غزوة بدر كان الرسول ﷺ يدعو " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك " (٢) وعند الطبراني بإسناد جيد " اللهم إني أنشدك ما وعدتني " (٣) أى أن الله تعالى قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ومع ذلك فهو يدعو الله تعالى ويطلب النصر منه إلحاحا على الله وتذللا له فالدعاء في آية التطهير بالإضافة إلى أنه يبين من هم أهل البيت فإنه يحمل أيضا نفس هذه المعاني . إن الكاتب يذكر أن الله تعالى أنزل آية التطهير في نساء النبي ﷺ ولكن الرسول ﷺ أراد أن يضم أصحاب الكساء إلى أهل بيته فدعا لهم وعجب ما يقوله الكاتب ! إنه يصور الرسول ﷺ لا يقنع ولا يرضى بما ينزله الله تعالى حيث أن الله تعالى يريد تطهير أناس معينين هم نساء الرسول ﷺ - حسب ما يرى الكاتب - بينما يريد الرسول ﷺ تطهير أناس آخرين من ذريته وأقاربه فهل يريد الرسول ﷺ ما لا يريد الله عز وجل وهل كان الرسول ﷺ يريد أن يجامل أقاربه ؟ لقد علمنا القرآن أن الرسول ﷺ لا يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل هو متبع لأمر الله تعالى " إن أتبع إلا ما يوحى إليّ " (٤) ولكن هذا الكاتب يصور الرسول ﷺ لا يقنع بالوحي ويريد شيئا من تلقاء نفسه. لو كان الرسول ﷺ

١- (سورة الفتح ٢٥)

٢- ( فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧-٢٥٤ )

٣- (المصدر السابق ج٧-٣٥٥ )

٤- (يونس ١٥ )

يريد ضم أهل البيت كما يقول الكاتب لقال في دعائه " اللهم إن هؤلاء من أهل بيتي " ولأنزل الله تعالى عليه قرآنا يخبره بإجابة دعوته كما أنزل على موسى حينما دعا ربه " ربى اجعل لى وزيراً من أهلى هارون أذى أشدد به أزرى و أشركه فى أمرى " (١) فرد الله تعالى عليه وأجابه بقوله " قال قد أوتيت سؤلك يا موسى " (٢).

ويتعجب الكاتب من القول بعصمة أهل الكساء خاصة عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فيقول: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر يدهى يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كأحد الأطراف الذين نزلت فيهم الآية " ويستطرد متسائلاً متعجباً " إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيهة أو من الأئمة لكى تضى عليها صفة العصمة !!! وما الغاية التى لأجلها أضفيت عليها العصمة !!!

نقول أما الاستدلال بالآية على عصمة أهل الكساء فقد أشرنا إليه من قبل ونقول أيضاً إن المتقين يكاد يقتربون كثيراً من العصمة حيث يقول الله تعالى عنهم " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " (٣). إنهم لا يستجيبون لوساوس الشيطان وإذا هموا بالذنب تذكروا فلم يقدموا عليه . إذا كان هذا هو حال المتقين وهم كثير فكيف يكون حال الأئمة وعددهم قليل وقد جعلهم الله تعالى أئمة للبشرية بما فيهم المتقين " واجعلنا للمتقين إماماً " (٤). إن الإمام إنما جعل ليؤتم به فإذا كان الإمام غير معصوم وأخطأ فمن يصبوب له ؟ إذا أخطأ الإمام فعلى الناس أن يتابعوه فى الخطأ لأنه إمام يؤتم به وقد فرض الله تعالى طاعته حيث يقول " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٥).

١\_ (طه \_ ٢٩\_ ٣٢)

٢\_ (طه ٣٦)

٣\_ (الامراف ٢٠١)

٤\_ (الفرقان ٧٤)

٥\_ (النساء ٥٩)

فطاعة أولى الأمر \_ الأئمة \_ طاعة مطلقة دل على ذلك حرف العطف  
 الواو والذي يفيد الاشتراك في الحكم وكذلك فإن الآية مطلقة ليست  
 مقيدة فإذا عصى الإمام أو أمر بمعصية لوجب أن يطاع طبقاً للآية والله  
 تعالى لا يأمر بالناقضين الطاعة والمعصية ولذا وجب أن يكون ولي  
 الأمر معصوماً لا يعصى الله تعالى ولا يأمر بالمعصية وهذا ما نجده  
 فقط في أئمة أهل البيت المطهرين عليهم السلام دون غيرهم . وإنما نتساءل  
 وأي ضرر في أن يكون الإمام معصوماً وهو الذي يعتلى قمة الهرم في  
 الإسلام؟ وأيهما أفضل عزيزي القارئ أن يكون إمامك معصوماً لا  
 يخطئ، فتثق فيه وتقتدى به وتسير خلفه وأنت مطمئن وكلك ثقة أنك  
 تسير في الطريق المستقيم أم أن يكون هذا الإمام غير معصوم يخطئ  
 ويصيب لا تعرف متى يصيب ومتى يخطئ؟ وبالله عليك عزيزي القارئ  
 إذا وجدت إمامك على معصية \_ لأنه غير معصوم \_ هل ستثق فيه أم  
 تنفر منه؟ إنك حينما تجد أحداً يعصى ويخطئ فإنك تفقد الثقة فيه  
 وتعرف أنه لا يصلح أن يقتدى به فكيف إذا وجدت إمامك بهذه الصفة  
 وهو المفروض أن يكون قدوة للآخرين؟ هل يريد من ينفي العصمة عن  
 الإمام أن يكون الإمام ساقطاً في أعين أتباعه لا ثقة فيه؟ إن الإمام هو  
 المثال والنموذج الذي جعله الله تعالى للأمة لتقتدى به وتسير خلفه. إن  
 أولئك الذين ينفون العصمة عن الأئمة لا يكتفون بذلك وإنما ينفون  
 العصمة أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون إنه معصوم فقط فيما يبلغ  
 عن ربه في أمر الوحي أما غير ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب . إنهم  
 لا يتصورون إنساناً طهره الله وكمله فأصبح معصوماً حتى يكون  
 نموذجاً ومثالاً وحجة لله تعالى على البشر. لو كان الإمام غير معصوم  
 لكان الله تعالى قد كلف البشر بما لا طاقة لهم به حيث فشل جميع  
 الخلق بما فيهم الإمام في الالتزام بمنهج الله تعالى والذي لا يستطيع  
 أحد تطبيقه كلية. وإذا كان هذا هو حال الإمام فالعذر لبقية البشر  
 في معصيتهم لله تعالى حيث أن إمامهم يعصى الله تعالى ولا يمكنه  
 الالتزام كلية بمنهج الله تعالى. إن الله تعالى جعل الأئمة معصومين

ليكونوا نموذجاً ومثالا وحجة له على خلقه لئلا يكون للناس حجة على الله تعالى. إن الرسائل السماوية السابقة كان يصيبها الانحراف بعد وفاة صاحب الرسالة فيرسل الله تعالى من بعده رسلا وأنبياء ليصححوا هذا الانحراف الذي حدث في مسيرة الرسالة السماوية أما الإسلام الرسالة السماوية الخاتمة فإذا حدث فيه انحراف بعد وفاة الرسول ﷺ فكيف يتم تصحيح هذا الانحراف خاصة وأنه لا نبي ولا رسول بعد المصطفى ﷺ فوجود الإمام المعصوم ضرورة لكي يحافظ الإسلام على استقامته ويصحح أي انحراف ووجوب يمكن أن تتعرض له مسيرته. إن الذين يتضررون من القول بعصمة الأئمة هم أولئك الذين يتخذون أئمة غير معصومين أخطاء وهم معروفة على مدى التاريخ.

أما عجب الكاتب من عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فإننا لا نجد ما يبرره إلا أن يكون الكاتب قد نسى أن الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة فقد أخرج البخاري ومسلم عن السيدة فاطمة عليها السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لها "يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين". وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله قال "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"<sup>(١)</sup> فالله تعالى خصّ الزهراء عليها السلام بمنزلة ليست لأحد سواها من النساء كما خصّ أباه بمنزلة ليست لأحد غيره فهل نعجب أن تكون صاحبة هذه المنزلة معصومة؟ وهل يليق بصاحبة هذه المنزلة أن ترتكب الذنوب والمعاصي؟

فإذا كان الله تعالى قد ميّز الزهراء عليها السلام وفضلها على سائر النساء فهل نعجب إذا طهرها الله تعالى وعصمها من الذنوب والمعاصي؟ وهل نسى الكاتب أن الرسول صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام "يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"<sup>(٢)</sup>. وقال أيضا فيما رواه البخاري "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني"<sup>(٣)</sup> فإذا كان غضب الزهراء عليها السلام يجلب غضب الله ورسوله فهل تغضب في الباطل فيغضب الله

١ - (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧- ١٣١)

٢ - (أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وأبو نعيم وابن عساکر) ٤- آل عمران ٤٢

٣ - (فتح الباري ج٧- ١٣٢)

تعالى لهذا الغضب؟ إنها حتى في حال الغضب لا تغضب إلا لله وإذا كان الله تعالى يرضى لرضاها فهل ترضى بأباطل؟ إن الزهراء عليها السلام ربانية خالصة لله تعالى قد زكت نفسها وتطهر قلبها وأصبحت في حالة عبودية خالصة لله تعالى تعيش بكل كيائها وعواطفها ومشاعرها ووجدانها مع الله تعالى فهل كان للشيطان سلطان عليها والله تعالى يقول "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" <sup>(١)</sup> فهل نعجب إذا كانت الزهراء عليها السلام معصومة؟

إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿يَكْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيْكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَيْكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>. فلماذا هذا الاصطفاء والتطهير الإلهي لمريم عليها السلام؟ هل كانت نبية أو إماما أم كانت أما للمسيح عليه السلام؟ فهل نسي الكاتب أن الزهراء عليها السلام كانت أما لسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين بل كانت أما لأبيها سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله فكيف تكون مثل هذه الأم؟ وهل يليق بها أن ترتكب المعاصي والذنوب؟ إن فاطمة عليها السلام بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المعصوم أفلا تكون بضعته معصومة؟

الكاتب يتعجب من عصمة الزهراء عليها السلام فكيف به إذا قلنا أن الله تعالى كان يوحى إليها؟ ومهلا عزيزى القارىء ولا تتسرع فإننا لانقصد أنها نبية ولا نقصد بالوحي وحي النبوة وإنما وحي الإلهام مثلما أوحى الله تعالى إلى أم موسى وإلى الحواريين "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه" <sup>(٣)</sup> "وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي ورسولى" <sup>(٤)</sup> وماذا إذا قلنا أيضا إن الزهراء عليها السلام كانت محدثة تكلمها الملائكة؟

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وآله إن من أمتى محدثين؟ ألم تكلم الملائكة مريم عليها السلام ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَيْكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَيْكَ عَلَى

١- (الإسراء ٦٥)

٢- (آل عمران ٤٢)

٣- (المائدة ١١١)

٤- (آل عمران ٤٢)

## سَكَاةُ الْعَلَمِيَّةِ (١)

وماذا إذا قلنا إن الزهراء عليها السلام كان يأتيها الطعام من الجنة؟ ألم تكن مريم عليها السلام تأكل من طعام الجنة؟ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٢) فهل الزهراء عليها السلام أقل من مريم عليها السلام؟ فقد روى ابن كثير في تفسيره (٣) عن الحافظ أبو يعلى بسنده عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقال "يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع؟ قالت لا والله بأبي أنت وأمي - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها قالت والله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليها فقالت بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك قال "هلمي يا بنية" قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصلت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها حمد الله وقال "من أين لك هذا يا بنية؟" قالت يا أبت "هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" فحمد الله وقال "الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت "هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"

فهل ما زال الكاتب يتعجب من القول بعصمة الزهراء عليها السلام؟

١ - (آل عمران ٢٧)

٢ - (تفسير ابن كثير ج ١ - ٣٦٠)